THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

وقائع الحرب

وهي أربع قصائد في تاريخ حرب الروس اليابانية التي نشبت
في ٨ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٤ ووضعت أوزارها
في ٥ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٥

نظمها

فارس الخوري

وأهداها

لصديقه الدكتور حسين حيدر

طبعت على نفقة الدكتور حسين حيدر

مطبعة الآداب

بجوار وابور السنيورة بالفجالة بمصر سنة ١٩٠٦

PJ
7842
.H815
W3

عبارة الاهداء

سيدي الاخ الفاضل الدكتور حسين افندي حيدر حفظهُ الله

كنت قد طلبت اليّ أثناء الحرب بين الروس واليابان ان أنظم قصيدة أسرد فيها خبر الحوادث التي يتم وقوعها في تلك الحرب فتكون بمقام تاريخ شعريّ يجتمع فيهِ تفصيل الوقائع الحقيقي مع وصفها بالاسلوب الشعريّ . فنظمت اجابةً لطلبك هذه القصائد الاربع التي أبعث بها اليك في هذا الغلاف وجعلتها هديةً تشهد بما بيننا من علائق الاخاء وروابط الودّ والولاء . واقراراً مني بما لك من الفضل في تنشيط الادباء والحرص على الآثار . فقد عرفتك واصفيتك الوداد منذ أمد طويل فما اعترفت بك الاّ اخلاصاً في الصداقة وغيرةً على الأدب وهمّة باهرة في الدفاع عن العلم وشجاعة في الجهر بالحقائق وبعداً عن التمجّد والمباهاة بالباطل فجعلت هذه القصائد على ما تحبّ من الانصاف وعلى المسلك الذي تعوّدناه من نبذ التقيّة في القول الحق . فذكرتُ المُحسِن باحسانهِ والمسيء باساءتهِ وأنصفتُ الجميع في تدوين أفعالهم . ولعلّ بعض المتشيعين للروس لا يرضى عن بعض أبياتها

ويحسب الاعراض عن هفواتهم أولى من التصريح بها . أما أنا فقد حسبت نفسي بنظم هذه القصائد في مقام المؤرّخ فلا يجمل بي السكوت عن شيء مما وقع للقوم من العثرات التي أفضت الى انصداع بيضتهم وهبوط كلمتهم في الشرق الاقصى . وغَلَبُهم اليوم في هذه الحرب قد يكون خيراً لهم ولامّتهم بما تفطّنوا بهِ الى مواقع الضعف منهم وعرفوا منافذ الخلل في دولتهم فهم يتلافون النقص لاكماله ويتعهّدون الفاسد لاصلاحهِ . وما كان الله ليمنحهم اكتاف فئةٍ ما هي بالقليلة ولا بالباغية ، تقاتلهم في عُقر دارها وتذودهم عن حوضها وتحمي دونهم حوزتها ، وتعلم أنها ان لم تُعجلهم عن فريستهم لا يمرّ كثيرٌ أو قليل حتى تُمنى هي بالمحدّد من مخالبهم وتصبح قافّة متضائلةً لدى بأسهم وتبقى هكذا في الرعدة والخوف الى أن يتّسع بلعومهم وتتقلّص قوتها فيسترطوها ويضربوا عليها سرادق العفاء آخر الدهر . ولا كان اليابان ليدخروا وسعاً أو يحتفظوا بعزيز في هذه الحرب التي هي الحَكَم المطلق في أمر حياتهم وموتهم وهم أسود الشرق الخادرة وكواكبهُ الزاهرة فلا عار على الروس اذا قنعوا من الغنيمة بالاياب وتركوا لهم بلادهم وعادوا الى ترميم المتداعي من قوّتهم وتقويم المتأوّد من عدلهم

وانني أترك لك الخيار في نشر هذه القصيدة أو ابقائها في حوزتك

الى ماشآء الله من الزمان . واتخذ هذا التقديم وسيلة لتأييد المودّة بيننا وتحقيق الاخلاص

دمشق الشام في ٣٠ ايلول سنة ١٩٠٥ كتبه

فارس الخوري

مقدمة

وفيها تلخيص وقائع الحرب للناشر

اقترحت على صديقي الاديب صاحب هذه القصائد أن ينظم شيئاً من الشعر في وصف هذه الحرب وتأثر وقائعها الخطيرة على التوالي فيكون من ذلك تاريخ منظوم تسرد فيهِ الحقائق بالاخلاص والانصاف . والذي حملني على هذا الاقتراح هو معرفتي بما تمزى بهِ صديقي الفاضل من طول الباع في الشعر وسعة الاطلاع في اللغة وسلاسة الاسلوب في التعبير والاعتدال في المشرب والتحقيق في المعلومات . وتيقّنت أن ماينظمهُ في هذا الموضوع يكون فريداً في بابهِ وبالغاً من الجودة أقصى المستطاع . فتكرّم بتلبية طلبي وبعث اليّ بعد ان وضعت الحرب أوزارها بهذه القصائد الاربع . وغب مطالعتها والامعان بما فيها وجدتهُ قد حقق أمنيّتي بل أتاني بأفضل مما كنت أتوقعهُ . فقد ألمّ بالاسباب التي دعت الى اشهار الحرب ثم ذكر جميع المعارك المهمة التي حدثت فيها على التوالي ووصف كلاً منها بما تستحقهُ بالنسبة الى مابعدها وما قبلها فذكر وقعة

يالو بصورة مختصرة ثم زاد قليلاً في وقعة كنشو وتدرّج في الزيادة الى حصار بورآرثور ثم الى واقعة لياوينغ ووقعة شاهو الى أن بلغ الوقعة الكبرى مكدن فأفرد لها قصيدة كاملة وأجاد في وصفها ما تمكن الاجادة لشاعر وعلى هذا النسق تدرّج في ذكر المواقع البحرية الى أن وصل الى حوادث اسطول البلطيك فأفرد لها قصيدة طويلة كما أفرد لوقعة مكدن لانهما كانتا الفاصلتين في البر والبحر . وأتى على أسماء المعارك والقواد والوزراء الكبار فصبّها في قالب الشعر مع المحافظة على كيفية التلفُّظ بها في لغاتها الاصلية بدون تكلُّف ولا ابرام. ومع التزامه سرد الحوادث التاريخية وذكر الاسماء فقد أحسن كل الاحسان في فصاحة الالفاظ وبلاغة التركيب وسلاسة البيان وتحامى التقديم والتأخير وتجانف عن الجوازات التي يرتكبها اكثر الشعراء للضرورة فجاءت قصائده كأنها نثر منسجم مُرسل تدرك معانيها على سموّها وبعد مراميها بدون أقل اعنات للفكر أو اجهاد للروية. وفسح للانفعالات النفسانية والتخيلات في الوصف مجالاً رحباً في تضاعيف الابيات ومزج التقرير التاريخي مع الخيالات الشعرية بحيث لم تعد منظوماته تاريخاً مجرّداً ولا وصفاً شعرياً مفرداً بل جمعت بين الاثنين وهذا أفضل ما يؤتى به في مثل هذا المقام فانه لا يجوز لشاعر ان

يقتصر في شعره على تقرير الحقائق المجرّدة وتدوين القضايا العلمية بالكلام الموزون لان هذه القضايا التعليمية هي من خواص النثر وهو ان لم يجعل لشعره حظاً كبيراً من التشابيه والاستعارات والكنايات والمعاني المجازية والاختصار في التعبير لا يكون منظومه شعراً . أما شاعرنا فقد جعل الغايتين تجريان معاً في خلال شعره جري الماء في العود

وقد ألمّ باكثر الاغلاط الفنية التي وقع فيها الروس فكانت سبباً لفشلهم وانقلابهم امام عدوّهم من ذلك عدم تأهبهم قبل الحرب واطمئنانهم في بور آرثور ليلة الهجوم الاول « كأن الحرب لم تبعث نذيراً » . وتفريق الاسطول في بور آرثور وشملبو وفلاديفستوك وغيرها . والشقاق الذي وقع بين الوزراء والقواد منهم فصار الكسيف يسعى بكور بتكن وسكريدلوف يقاوم مكروف وكثرت الاحزاب في بطرسبرج . وجهلهم مقاصد طوغو من استدراج مكروف الى الخروج من بور آرثور . واحتقارهم أمر عدوهم لتماءته وصفرة وجهه فلم يعرفوا قدره حتى وقعوا في براثنه . ووقوف كور بتكن في لياو ينغ واصرارهم عليه بالمناجزة لنجدة بور آرثور حتى حملوه على انفاذ البارون ستاكلبرغ ليصرعه العدوّ ويفقده معظم جيشه . وتراخيهم في مكدن حتى أوشك عدوّهم

يدور بهم ويمنعهم الرجعة فتركوا الدفاع وركنوا الى الهزيمة قبل أن يكمل الالتفاف . وعزل كور بتكن من القيادة الكبرى مع أنه أخلص قوّادهم وأصبرهم وأعرفهم بالفنون الحربية . وخطأهم في تجهيز اسطول البلطيك وتسليمه الى جند معظمهم يجهل أصول البحارة ويكره المسير الى هذه الحرب وقذفهم به الى تلك الابعاد الشاسعة وهم غير واثقين من مقدار قوته واستطاعته منازلة العدو . وتعرضهم لهبوب طوغو من عرينه في مضيق سوشيما الذي هو وازعه ومجال سفنه وله ولرجاله فيه خبرة كاملة . وعدم تمرينهم جنودهم البحرية في رمي الكرات حتى كان جهلهم في احكام المرامي سبباً لامّحاء أسطولهم . واعتدادهم بقوّتهم كل مدة الحرب والتصريحات الكثيرة التي دلت على كبريائهم وليس ورآءها ما يكفل لها السلامة . واهمالهم امر الجنود حتى جعلوهم عبيداً يقاتلون احراراً

ولم يبخسهم حقهم في بعض المواضع التي استحقوا فيها الثناء من ذلك اصالة الرأي في تسليم القيادة البحرية لمكروف والبرية لكور بتكن فكلاهما بطل حازم وقائد باسل . وصبرهم في المعارك جميعها صبراً يليق بهم وبيساتهم المعروفة . وبعدهم عن الجبن والخوف وثباتهم في الدفاع عن بور آرثور وبقاء عزائمهم حتى بعد اندحارهم في مكدن . واقتحامهم تلك الشدائد في سفر أسطول

البلطيك . وسداد الرأي في انتخاب ديويت لمجلس الصلح . وانتصارهم على خصمهم في ميدان السياسة والدهآء فحرموه ثمرة انتصاره . واعتذر عنهم في كثير من المواقع التي خسروها من ذلك بعدم التكافؤ بين مكروف وطوغو حيث قال

ولكن قلَّما عددٌ قليل يفوز ويغلب العدد الكثيرا

وبالاكراه في جمع الجيش لامداد كور بتكن فاعتذر عنه على انكساره في مكدن بقوله

وما هو فاعل في حرب قومٍ يرون الموت في ذي الحرب دينا
أتوها طائعين وما لديه سوى من أقحموها مكرَهينا

وعاد فذكر مثل ذلك عند الكلام على تجهيز أسطول البلطيك فقال

جندٌ أتوها لا الفراق عليهم سهلٌ ولا ورد المنيَّة طيبُ
رجُل يقدّم رجله ويردُّها فيساق كرهاً او يُجرّ ويُضربُ

ومتى كانت هذه حالة الجندي من الكراهة للحرب والنفور من اقتحام غمارها فلا جناح على القوّاد اذا خسروا المواقع وتقهقروا بانتظام أو بغير انتظام

وقد وضع الالفاظ في مواضعها وأجاد كل الاجادة في انتقائها فليس هناك قافية ركيكة ولا لفظة غريبة ينفر منها الذوق ولا كلمة

عاميَّة ينكرها أساطين اللغة ولا كلمة أتت حشواً لاقامة الوزن . فجاءت الكلمات الرقيقة السهلة في ايراد الخبر وارادة تحريك عواطف الشفقة والالفاظ الجزلة المفخَّمة في وصف الوقائع و بيان أهوالها

وفي هذه القصائد غير ما ذكرت من المزايا التي يعرفها رجال الادب ويقدرونها قدرها . وكنت أودُّ نشرها منذ عقد الصلح و بعث اليّ ناظمها بها ، غير ان الشواغل من جهة واحتدام حرارة الاحزاب في ذلك الوقت من جهة أخرى حملتني على ارجاء الامر وتسويف النشر . أما اليوم وقد بردت جمرة التشيُّع وسكنت نأمة الاحزاب وصار الناقد الخبير يفرق بين الحق والباطل بدون ان تتصرَّف به وتسيطر على عقله النُّعر السياسية والاميال المذهبية فلم يعد لديّ ما يمنعني من ان أزفَّها الى الادبيات العربيَّة عروساً ولَّدها العقل وهذَّبها العلم وجلاها البيان والسلام على كل من قال الحق

ويليق بنا في صدر هذه القصائد ان نأتي على ملخَّص وقائع هذه الحرب في جملة مختصرة واليك نصَّها :

بعد ان فتح اليابان بور آرثور وانتشرت جيوشهم في كوريا وجزء كبير من منشوريا في حربهم مع الصين سنة ١٨٩٤ وكانوا على ان يتمتَّعوا بفوائد جمَّة من ذلك الفتح صمد لهم ثلاث من دول

أوربا العظمى هن روسيا والمانيا وفرنسا وأرادوهم على الانسحاب من المواقع التي احتلُّوها وفادوا فيها بأرواحهم . وعلى أثر انتهاء تلك الحرب سعت روسيا بوسائلها فعقدت اتفاقاً مع الصين مؤداه ان الصين تتخلى لها عن بور آرثور وما يليها من شبه جزيرة لياوتنغ الى مئة سنة . وما وطئت قدم الروس تلك الناحية حتى باشروا اقامة المعاقل والحصون المنيعة في بور آرثور وغيرها من الثغور فصار لهم في وقت قصير قلاع تضارع جبل طارق في القوة وتزيد على أمتن حصونهم في الغرب مناعة واحكاماً ، ثم غنموا فرصة اشتغال الانكليز في حرب جنوبي أفريقية وزادوا عدد الحامية التي أقاموها لحفظ الخط الحديديّ وتدرجوا في احتلال منشوريا شيئاً فشيئاً حتى أصبحت جنودهم ضاربة في كل نواحيها وكلمتهم نافذة في جميع جهاتها ولم يكتفوا بسهول منشوريا وجبالها ومعادنها بل طمحت أبصارهم الى كوريا وأخذوا يعتدُّون الذرائع لتوسيع نطاق نفوذهم واعلاء كلمتهم في بلاطها ليسيطروا على معادنها وحراجها وسياستها الخارجية . فقام اليابان وقعدوا لهذا التعدّي وعلموا ان لا قِبَل لهم بالروس واحلافهم في الغرب فعقدوا مع الانكليز عهدهم المعروف وكان غرضهم منهُ ان لا يجعلوا لفرنسا ولا لغيرها سبيلاً الى معاونة روسيا في حربهم فيقاتلونها منفردة ويناضلون عن استقلالهم

ومستقبلهم بما لديهم من القوّة . ثم حملوا دول أوروبا العظمى على مما لأنهم في ارادة الروس على اخلاء منشوريا فصرّح القيصر انهُ لا ينوي امتلاكها ووعد بالجلاء عنها في آجال مختلفة . فطالت مدّة المراسلات والمباحثات في هذا الشأن والروس يضيفون الى قوتهم البحرية والبرية في الشرق الاقصى واليابان أيضاً يستعدون للقتال . وأخيراً أبى الروس قبول البحث مع اليابان بمسألة منشوريا . وقالوا ان الحق في ذلك للصين فقط وان اليابان لا تصلح للخصومة في هذا الأمر وأظهروا رغبتهم باحتلال كوريا أيضاً والحاقها بدولتهم الواسعة وعلم اليابان انهُ ان تمت لروسيا هذه الأمنية أصبحوا هم عيالاً عليها وأصبح استقلالهم معرضاً للخطر الشديد كل يوم . فأكبروا هذا الأمر وانكروا تلك العاقبة الوخيمة وأصروا على روسيا بأن تعترف لهم بحق السيادة في كوريا فأبت عليهم ذلك وعرفوا هم عواقب السكوت فاسرعوا الى تدارك الخطب قبل تفاقمه والدفاع عن حوزتهم بالسيف والنار و باشروا الحرب في ٨ شباط سنة ١٩٠٤

وهكذا نشب القتال بين الخصمين في البحر والبر وتوالت المعارك الواحدة بعد الواحدة وفي جميعها كان يكتب النصر لليابان فقد احتلوا كوريا أولاً ثم دحر جيشهم الأول بامرة الجنرال

كوروكي فرقة من الجيش الروسي على نهر يالو يقودها الجنرال ساسولتش وكان هذا الانتصار مشدّداً لعزائم اليابان ومنشطاً لقلوبهم وخابت فيهِ ظنون الروس وغيرهم من القائلين ان اقزام اليابان لا طاقة لهم بجبابرة الروس وكانت هذه الوقعة أول مرة التقى فيها جيش اليابان بجيش أوروبي ولذلك صار اليابان يتيمّنون بها خيراً ويحسبونها من أهم المواقع التي قاموا بها في تاريخ أمّتهم . ثم أنزلوا جيشهم في تاكوشان الى غربي بور آرثور ولواؤه معقود للجنرال أوكو فصعد على حصون كنشو واحتلّها بعد معركة عنيفة وتقدّم منها شرقاً وأقام الحصار على بور آرثور من جهة البر والاميرال طوغو يتولى حصاره من جهة البحر ويضيّق الخناق على الاسطول الروسي اللاجيء تحت الحصون . ثم تولى الجنرال نوجي الحصار من البر وزحف أوكو وجيشه الى الشمال للانضمام بكوروكي ومنازلة كورو بتكن القائد الاكبر للجيوش الروسية في منشوريا وكان قد بلغ لياو ينغ وأخذ في تحصينها واعدادها للدفاع . وقد حاول كورو بتكن مراراً كثيرة انفاذ الجنود لنجدة بور آرثور فلم يفلح لان الطريق كانت مملوءة بالقوّات اليابانية الزاحفة من الجنوب نحوه وكانت الاوامر تأتيه من بطرسبرج بالاسراع لرفع الحصار عن بور آرثور فارسل مرّة البارون ستاكلبرغ ومعه فرقة

من الجند فوقع في يد كوروكي ودارت بينهما وقعة عنيفة انجلت عن تمزُّق جيش البارون وهلاك القسم الاكبر منه . وحدث غيرها عدة وقعات صغيرة كان الفوز فيها لليابان . وعند ما كملت قوات اليابان في جنوبي لياو ينغ وتولى المارشال أوياما قيادتها زحموا كورو بتكن في لياو ينغ واكرهوه على اخلائها بعد معركة دامت عدة أيام فانسحب بجيوشه ومعداته الى شاهو وينطاي فتعقبوه وعاد البأس الى احمراره والضرم الى شراره وكان حظه في شاهو مثل حظه في لياو ينغ فتقهقر الى مكدن أم الحواضر في منشوريا واخذ في تحصينها وتوطيد القوات فيها . وفي تضاعيف ذلك كان الروس قد جهَّزوا أسطولهم الكبير في بحر البلطيك وبعثوا به الاميرال روجدَسْتْفنسكي لرفع الحصار عن بور آرثور من جهة البحر. فوقف الجنرال اوياما في لياو ينغ وأمر نوجي القائم على حصار بور آرثور بان يسرع في فتحه مهما جشَّمه الفتح من الخسائر فلجّ نوجي في زحم الحصون واكثر من الوسائل في أخذها عنوةً والحامية تدفعه عنها بالرخيص والغال حتى اذا دخلت سنة ١٩٠٥ ورأى الجنرال ستوسل قائد الحامية اجباط المساعي وخيبة الذرائع عمد الى الاستسلام طوعاً فخرج هو ومن معه من الضباط وعادوا الى روسيا بعد ان أقسموا بان لا يعودوا الى الحرب واستولى نوجي على القلاع والحصون

والذخائر وعلى ما بقي من سفن الاسطول الروسي في حوض بور آرثور

ثم رحل نوجي بمن معه من الجيش وانضم الى الجيش الكبير فتقدم المارشال أوياما الى الشمال وناجز كورو بتكن في مكدن فكانت بينهما وقعتها الكبرى المشهورة التي دامت من ٢٥ شباط الى ١٢ آذار سنة ١٩٠٥ وانتهت بفرار الروس الى خاربين وخسارتهم نحو نصف قواتهم التي كانت تبلغ ثلث مليون من الجند أو تزيد. فتطير الروس من قائدهم الاكبر وعزلوه عن امره وأقاموا عنه الجنرال لينفتش القائد الثاني

أما ما كان من جهة البحر فقد جرت معارك عديدة بين الأسطول الياباني وعليهِ الأميرال طوغو والاسطول الروسي الشرقي وعليهِ الأميرال ستارك الذي عزل بسبب تراخيه في الهجوم ثم الأميرال مكاروف الذي غرق على دراعتهِ في وقعة ١٣ نيسان سنة ١٩٠٤ ثم الأميرال ويتوفت الذي قتل في وقعة ١٠ آب سنة ١٩٠٤ وكان قد خرج بالاسطول من حوض بور آرثور ليخترق الحصار ويذهب بهِ الى فلاديفوستوك فلقيهُ طوغو في الجنوب الغربي من كوريا واكرههُ على الرجوع الى حيث خرج وبعد هذه الوقعة بثلاثة أيام التقى الأميرال كاميمورا الياباني

بأسطول فلاديفوستوك وكان قد خرج منها لملاقاة ويتوفت واعانتهِ على بلوغها فأغرق له طرّاداً كبيراً وردّه الى حوضهِ لاصلاح المخرّب من بقية سفنهِ . ثم بعد سقوط بور آرثور لم يعد للروس في الشرق قوة بحرية ما عدا ثلاث سفن في فلاديفوستوك وأقام الأميرال طوغو في مضيق سوشيما ينتظر وصول أسطول البلطيك الى ان وصل الى المضيق في ٢٧ أيار سنة ١٩٠٥ فثار به من مكمنه ودارت بينهما معركة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المعارك البحرية ولم يطل أمرها حتى غرق القسم الاكبر من الاسطول الروسي وأكره الباقي على الاستئسار فأسر الأميرال روجدستفنسكي القائد الأكبر والأميرال نيبوكاتوف قائد الاسطول الثاني وقتل الاميرال فولكسام قائد الاسطول الثالث ولم يخسر اليابان سوى ثلاث نسافات . وكان لهذه الوقعة شأن كبير في تقرير الغلبة لليابان من جهة البحر وانقطاع آمال الروس من اقبال السعد نحوهم فغنم الرئيس روزفلت هذه الفرصة وعرض على الخصمين أمر المصالحة فرضيا بها وأرسل الروس الموسيو ديويت والبارون روزن وأرسل اليابان البارون كومورا والموسيو تاكاهيرا للمفاوضة فى الصلح الى مدينة بورتسموث فى الولايات المتحدة و بعد جدال طويل نفذت فيهِ سياسة ديويت المعتمد الروسي واستمال اليهِ رئيس الجمهورية

الاميركية الكبرى أبرمت عهدة الصلح ووقع عليها قيصر الروس وميكادو اليابان في ١٥ أيلول سنة ١٩٠٥ . وخلاصتها الاعتراف بسيادة اليابان في كوريا واخلاء الروس منشوريا وحلول اليابان في بور آرثور وشبه جزيرة لياو تنغ واقتسام الخط الحديدي الروسي في منشوريا بين الروس واليابان وتخلّي روسيا عن نصف جزيرة سقالين لليابان مع بعض شروط أخرى ليست بذات شأن كبير

وهكذا انتهت هذه الحرب التي رفعت اليابان الى رتبة الدول الكبرى و بترت آمال الاوروبيين في الشرق الاقصى وأدخلت في تاريخ العالم المتمدن جماعات الشعب الاصفر الذي هو عازم اليوم على ان يقيم لنفسه معدّات القوّة ويكبح أطماع المعتدين من الخارج

الشام في ٢٩ نيسان سنة ١٩٠٦ كاتبه

حسين حيدر

حرب الروس اليابانية التي أُشهرت

في ٨ شباط سنة ١٨٩٤

(١)

اشهار الحرب

أقلُّ شرارة تغدو سعيرا ... اذا الأطماع أفعمت الصدورا
على منشوريا الابحاث صارت ... الى نار الوغى ساءت مصيرا
جدالٌ أيقن اليابان منهُ ... بأن الروس مُضمرةٌ شرورا
تحاول في الجواب وكل يوم ... تروغ لتحشُد العددَ الغفيرا
وما خشيت من اليابان حرباً ... ولا خافت رَحاها ان تدورا
رأت في نفسها جاهاً عظيماً ... وعدَّت خصمها شعباً حقيرا
الى أن هاجت اليابان غيظاً ... وفي هيَجانها دعتِ السفيرا

(٢)

الوقعة البحرية الاولى

امام بور آرثور في ٩ شباط سنة ١٩٠٤

فأقلع نحو بور آرثور طوغو ... بجنح الليل متخذاً ستُورا
رأى أُسطول روسيًا أميناً ... طَروبَ النفس مغترًّا قريرا

وقوّادُ الدوارع في صفآء ... وأفراحٍ يديرون الخمورا
قُعودٌ عن وظائفهم نيامٌ ... كأن الحرب لم تبعث نذيرا
فأرسل من نواسفهِ عليهم ... وقد عدَت المُحافِظَ والخفيرا
فدكّت من بوارجهم بروجاً ... وشقّت في دوارعهم ثغُورا
وعادت تحمل البُشرى لطوغو ... ليجنيَ من مكايده سرورا
هي اللذات في يوم الوغى لم ... يفز أحدٌ بها الاّ الجسورا

(٣)

وعيد الروس

غدا اليابانُ في طرب و بِشر ... وقد طَفَحَتْ جزائرهم حبورا
وقال الروس لليابان خُنتم ... أميرُ البحر كان بنا غَدورا
غدرتم قبل شَهْر الحرب لؤماً ... وما أسأرتمُ للصلح سورا (١)
شببتم نارها خَنَعاً وجبناً ... وما سمع الجنودُ لها نفيرا (٣)
سَنجزيكم على ما قد فعلتم ... ونحترُّ الترائبَ والنحورا (٢)
غدرتم في البحار بنا وانا ... نعاقبكم اذا جئنا البُرُورا (٤)
صفت لكم المسرّةُ فاغنموها ... فليس صفاؤها الاّ قصيرا
فانّا سوف نقذفكم بجيش ... يصم ضجيجهُ الشرَى العَبورا (٥)
ونُعمِلُ في كتائبكم سيوفاً ... بها نَبري المناكب والخُصُورا

فويلكم اذا انقضَّت عليكم سرايا الروس تطَّلب الثؤورا[٦]
فيُصبح ما جمعتم من جيوش ثعالبَ في الفلا سمعت زئيرا

* * *

وعيد جله صوت جهورٌ ومن ذا يرهب الصوت الجهورا
ذوات الناب ليس تضرّ شيئاً اذا صَخِبت واكثرت الهريرا[٧]

(٤)

هبوط وارتفاع بين المفربين فى بطرسبرج

ألَكسيف الاميرُ تنقّصوه وقالوا انهُ أبدى قصورا
فلم يك عارفاً قدر الاعادي ولم يك في تأهبهم خبيرا
وفرَّقَ جنده برّاً وبحراً ولم يجعل لعدَّته جَميرا[٨]
فسام بجهله الاوطانَ خسفاً وجرّ بطيشهِ حرباً زَجُورا[٩]
لِكورو بتكن الآمالُ مالت ليصلح في درايته الامورا
عليه القيصر انعقدت مناه وقال عهِدتك البطل الغيورا
فَقُدْ جيشي وأدّب من عصاني ومن اعدائنا اقتلع الجذورا
الى منشوريا أسرع فانّا جعلناك المدبّر والمشيرا
تدبرْ في الشؤون وكن حكيماً فقد ولّيت من عملي خطيرا
ويا مكروفُ سرْ للبحر واجبر بحكمتك المُخلَّع والكسيرا
أدِرْ أسطولنا بسَداد رأي فمثلك مستحقٌ ان يديرا

وأنت مُنازل خصماً لدوداً فان دَهتِ الشدائدُ كن صبورا
أقمتكما بدار الحرب عني لساحتها بحفظ الله سيرا
بحزمكما لنا أمل وطيد تعزّان الرعية والسريرا
دنا ديويت بعد البعد منهُ ليبت المالَ أرجعهُ وزيرا
ولامَسدُرْفُ نال لديه حظّاً وصار له المُشاوَر والسميرا
تبدّلت السياسة واستعادت لها من كان منبوذاً صغيرا
وذي حالُ الملوك فلا خمول يدوم على الوزير ولا ظهورا

(٥)

نكبة الروسي بفرق الامبرال مكروف على الدارعة بتروبالسك

في ١٣ نيسان سنة ١٩٠٤

سعى طوغو على مكروفَ يوم ال لقا وأعدَّ تدبيراً مَريرا
أقام لهُ الفخاخ بكل وجه يؤججه بها ناراً حَرورا
وناصَبهُ بعرض البحر حرباً فكرّ عليه لا يخشى نكيرا
أثارتهُ الشهامة عن عرين ويأبى الليث الا ان يثورا
فقاتله وناضله بقلب يريه كل معتاص يسيرا
ولكن قلما عددٌ قليل يفوز ويغلب العدد الكثيرا
تدفّقت الكُرات عليه حتى رأى في الكرّ موقَفهُ مُبيرا(١٠)
فدارَ الى الخليج يريد أمناً وكان بوارُه في ان يدورا
مضى يجتاز فوق فخاخ طوغو كملاّح يحاذر ان يجورا

الى ان شقّت الغمرات فاهاً وأصعدت البلايا والسعيرا
فشاهدتحت اخمَصِه جحيماً وقد فتحت قذائفهُ حَفيرا (١١)
كأن جهنماً وجدت سبيلاً ومطوياتها لقيت نشورا
كأن هناك بركاناً تلظّى وأطلق في الفضا ناراً ونورا
كأن البحر غضبان عليهم لمّا جرّوا على الدنيا شرورا
طوى بضميره حنقاً فلما دنا مكروفُ كاشفهُ الضميرا
هوت فيه السفينة في خليجٍ وكانت قبل تخترق البحورا
على مكروفَ قد بكت البواكي وأطلقت المدامعَ والشعورا
ففاض له بأرض الروس دمع يؤلف لو يضمّ معاً غديرا
بمصرَعه عزومُ الروس خارت وحَقّ لها بذلك ان تخورا
رجاءُ القوم معقود عليه ليدفع عنهُمُ الخطب العسيرا
أميرهمُ وعند أشد ضيقٍ يراد لكشفه فقَدوا الاميرا
فكان بهَدْيه قمراً مضيئاً وكان بكرّهِ أسداً مَزيرا (١٢)
وان الروس لا يسلون عنهُ ولو وجدوا له فيهم نظيرا

(٦)

الوقعة البرية الاولى على نهر يالو

في ١ ايار سنة ١٩٠٤

أقام الروس في يالو قلاعاً على تحصينها صرفوا شهورا

مسيلُ النهر دونهمُ فظنُّوا الـ ... مدى لا يستطيعون العبورا
ومن خاض البحور الى الاعادي ... أيأبى ان يخوض لهم نهورا
مشى اليابان لا يخشَوْن بؤساً ... ومآءُ النهر يكتنف الصدورا
بجيش كل من فيه جريءٌ ... تمنى للاعادي ان يَطيرا
وصبُّوا من مدافعهم كُراتٍ ... يفلّق عزمُ صدمتها الصخورا
لئن صبرت جيوش الروس شيئاً ... فبعدَ هُنيهة ولّت ظهورا
وأبقت من ذخائرها نِهاباً ... ومن أعتادها شيئاً كثيرا (١٣)
ولليابان في الآثار شد ... فكم قتلوا وكم أخذوا أسيرا
أتَوا أنْطُنْغَ بالرايات حتى ... على أسوارها خطرت خطيرا
لعمرك ليس يحمي السورُ مدناً ... اذا عدمت من التدبير سورا
فهل حُدِّثت فيْ أخبار دلني ... وما شادوا بساحتها قصورا
وما قد أنفقوا عملاً ومالاً ... على المرسى وكيف جرى أخيرا
أباحوها الى اليابان غُنماً ... وما نالوا على نَصَب أجورا
ولا عجبٌ لمختال مدلٍّ ... اذا أخلى الحواضرَ والثغورا
اذا غَفَل الرعاة عن المواشي ... فمن ذا يدرأُ الاسدَ الهَصُورا
وان الخاشع اليقظان يكوي ... بحدّ حسامهِ البطل الفخورا
كذلك من توخى البغي متناً ... تراه بدون مَعْثَرَةٍ عَثُورا

(٧)

وقعة كنشو

وكِنشـو بالمدافع منَّعوها ... وولَّوا حفظها جيشاً كبيرا
وظنُّوا انهـا تبقى طويلاً ... وتثبت في خفارتهم دهورا
أغار الخصم منقضًّا عليهـا ... ونار الروس تكتسحُ المُغيرا
الى ان كوّروا القتلى تلالاً ... وأوشكت المعاقل ان تمورا (١٤)
رأوا ان العدو يموت طوعاً ... ولا يأبى التقحُّم والكُرورا
ومن رغب المنيَّة وانتحاها ... يبيت عدوّه عنها نفورا
بدا للروس ان الفتح دانٍ ... يغذُّ فلا مُعين ولا مُجيرا (١٥)
فولَّوا تاركين على الروابي ... ذخائرَهم لاعداهم نصيرا
لقد شمَخوا على اليابان لما ... رأوا جندَيهم قَزْماً زميرا (١٦)
وقالوا سوف نطحنهم فتغدو ... قبورُهمُ الضواريَ والنسورا
ولكنَّا على يالو وكِنشو ... وجدنا القولَ بهتاناً وزورا
فعرض الجسم لا يغني فتيلاً ... وطول القد لا يجدي نقيرا
ألست ترى الوليدَ وفيهِ حزمٌ ... يسوم الفيل خسفاً والبعيرا
رُهَامُ الطير تنخلع ارتياعاً ... اذا رأت البواشقَ والصقورا

(٨)

مصاد بور أرثور

لبور أرثور باليابان طارتْ قلوبهم وفارقت الصدورا
وجيشُهم تمنى الموت طوعاً ليفتح ذلك الحصن الشهيرا
فكم آلوا وكم حلفوا يميناً وللأوثان كم نذروا نذورا
وقالوا سوف نُجلي الروس عنهُ ولو كان الزمان لهم ظهيرا
وبين ضلوعهم شوقاً اليهِ لظىً يُغلي المراجلَ والقدورا
أتوا درب الحديد فخربوه كما نسفوا المعابرَ والجسورا
أقاموا حوله جيشاً كثيفاً بهِ ملأوا السهولة والوعورا
وكانوا في تهالكهم عليهِ نموراً في الوغى لقيت نمورا
وأصلاهم حماة الحصن ناراً تعيد حديد قوّتهم صَهيرا
حماة ان سفت للموت ريحٌ مُزَعْزَعَةٌ تكون لهم زفيرا
وان تُرعد كرات النار فيهم تجد آذانهم منها هديرا(١٨)
يطيب لذوقهم ماءُ المنايا فان وردوه لم يرضوا صدورا
على النارين قد صبروا طويلاً وباعُ الهاجمين غدا قصيرا
فنار البرّ حامية تلظّت ونار البحر لم تعرف فتورا
أميرُ البحر طوغو كم توخى يقيم بمدخل المرسى سُكورا(١٩)

فيأمن صولة الاعداآء بحراً ... اذا أسطولهم مُنِـع المرورا
فأبسلُ من أطاع الى هلاك ... وأحلس جنده الخطر الضبيرا[٢٠]
وحاولها من المرات عشراً ... فأخفق سعيهُ ولوى خسـيرا
ألحوا في حصار الحصن حتى ... لدى كراتهـم بلغ الشفيرا
قلوب الروس قدهلعت وخافوا ... على الحصن التداعيَ والخرورا
يهاجمهُ العدو وليس يجزى ... على هجماتهِ الا دحورا
تخر أمامه الأبطال صرعى ... وتشبهُ في تطايرها الشكيرا[٢١]
ألوف حوله لقيت حتوفاً ... ألوف ضمنهُ نزلت قبورا
حصار ليس في التاريخ منـهُ ... ولا تقل الرواة له نظيرا
فلا الاسكندر الروميّ ألفى ... كهذا النَّضْح يوم أحاط صورا
ولا سبيو أصاب بقرطجنًا ... دفاعاً ردّه عنها ضَجورا
وفات الفاتحَ السلطانَ شبهٌ ... لهذا حين خاض البوسفورا

(٩)

خطاب الى الحامية

حماةَ الحصن نقرأكم سلاماً ... يُحَمَّلُ في حواشيهِ عبيرا
لئن ضيقتم صدر الأعادي ... فما وجدوا بكم صدراً حَصُورا
وان لانت قناة العزم منكم ... فذاك مع الشجاعة لن يضيرا

صبرتم في المضايق أيّ صبر وخلدتم لكم ذكراً منيرا
اذا التسليم لطخكم بعار فطول ثباتكم يبقى طَهورا

(١٠)

انصراع شأنه الاسطول الروسي

في ١٠ آب سنة ١٩٠٤

فلا ترجوا من الاسطول نصراً فذلك عاجز عن أن يُجيرا
حمتهُ حصونكم زمناً طويلاً ولولاها لأكرِه أن يغورا
أُحيط بهِ فكيف أدار يلقى بوجهتهِ من الجمَرات كيرا
يرى بحراً بما دسُّوا وطيساً وجوّاً من قذائفهم مطيرا
سرى من حوضهِ والليل داج يُنكّبُ عن دوارعهم فَرورا
فشت أخباره فتنسموها وفي آثاره جدوا المُخورا
فأدركه بعرض البحر طوغو ولجّ بهِ ليورده الدمورا
أقام لديهِ سدًّا من ضرامٍ وأرجعه شتيتاً مستطيرا
تفرق في المرافئ مستغيثاً وفي عرض البحار غدا نَثيرا
غدا لانجدة منهُ ترجّى ولا سعياً يفيد ولا صفيرا
وأسطول أُفلديفستوك لاقى فجائعهُ على يد كامورا
أتى ليعير نجدتهُ أخاه فأزعجه العدى عن ان يعيرا
فساواه وشرط أن يساوى سجير عند نكبته السجيرا[٢٣]

(١١)

وقوف كوروبتكين في لياوينغ

رجوتم كُورُبَتْكِنَ يفتديكم وذاك مخيم عنكم شَطيرا (٢٤)
قد استصرخوه لا سميعاً يمدّ يدَ المعين ولا بصيرا
أتى ليجيركم لما لجأتم لنجدته فأصبح مستجيرا
يراكم في المآزق وهو لاهٍ يكفكف عن جوانبه الدثورا (٢٥)
عدا أوكو وكوروكي عليه ومَدّاه من الابطال طورا
يعبُّ عليه بحرٌ من حديد يسير له ويمنعه المسيرا
ففي اليوينغ قد ألقى عصاه وعن سبل النجاة غداضريرا
أيقْحَمُهم وليس الموت سهلاً ولا كيد العدى شيئاً يسيرا
أيقفل راجعاً والروس طراً تراقب أن تراه مستغيرا
أقام بموقف حرج وأعيت مكايده القواطع أن يشيرا
فلا تنحوا بتنديد عليه فما هو قاعد عنكم قديرا

(١٢)

ارتداد الجيش الروسي بعد وقعة لياوينغ

في ٢ ايلول سنة ١٩٠٤

وبطرسبرجُ تأمره بحرب يرى اضرامها رأياً فطيرا
تربص في معسكره شهوراً بها يستقبل المدد الغزيرا

الى أن كرّ أوياما عليه وأصلاه من الهيجا هجيرا
فلم ير من نزال الخصم بداً وان كان الرجآء به نذيرا
فواقعَهُ بحرب كان فيها ضعيف القوم فرّاساً بَسورا(٢٦)
تلاحمت الجيوش بكل واد واكثرت التحمس والنعيرا(٢٧)
ثغور مراجل الاضغان فيهم وتضطر الدمآء لئن تفورا
وللنيران ألسنة تؤدي حديث ضغائن ملأ الضميرا
كأن هزيمها صعقاتُ رعدٍ وقد عقدت على الاجبال مُورا(٢٨)
وللقوّاد من حذر رموز مشوشة تبلغها الزُّمورا
يناقض بعضها في النص بعضاً وينسخ آخرٌ منها الأخيرا
وللكهان أصوات تنادي وتُبلِغُ عرش ربهم الجُؤورا(٢٩)
فكم بسطوا الاكف الى الاعالي وكم ضرعوا وكم حرقوا بخورا
بأيام أصاب الروس منها أن انسحبوا يولون الظهورا
ولاح النصر لليابان غضاً وطلعته لهم سفرت سفورا

(١٣)

انتصار اليابانه فى معركة شاهو وتقهقر الروس الى مكدنه

في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٠٤

لشاهو أوفضوا فتعقبوهم وعاد البأس مضطرماً حرورا (٣٠)
تولى مهجة الاجناد ضرب به ندرت سواعدهم ندورا (٣١)

ترى للعين من حنق شراراً ... وللاسنان من ألم صريرا
وللارواح من جزع غياباً ... وللاشلآء من عجز حضورا
تمنى الجيش لو كانوا خشاشاً ... اذن ولجوا المخافر والوكورا(٣٢)
ولو كان الخيار لهم بمتن ... ضمين للنجا اختاروا الطيورا(٣٣)
تمنى الروسُ لو خلقوا إناثاً ... وسبوا اليومَ اذ ولدوا ذكورا
اذن ولي الرجال النضحَ عنهم ... وهم لزموا المنازل والخدورا
وقد حسدوا الشيوخ على مشيب ... كما حسدوا المشوَّه والصغيرا
وقد لعنوا الحروب وخائضيها ... ومن أضحى لجمرتها مُثيرا
وقالوا ليتنا كنا اتحدنا ... وقاتلنا المُسبِّبَ والمشيرا
ألا رُحم امرؤ حرّ شجاع ... يجاهد مَلْكهُ أو يستشيرا
وقُدس سرّ سلطان تنحى ... تفرده وقال الامر شورى
وليت سقوطنا يجدي بنينا ... يعلمهم الى السيف النفورا
فلم يصبر على موت زؤام ... سوى من كان مقداماً ذميرا(٣٤)
عدوّ الروس كان أشدَّ صبراً ... على موت يجرَّعهُ قريرا
فخلوْا حوزةً كانوا عليها ... حراصاً ينثرون بها البذورا
وعادوا نحو مكدن بانكسار ... وشاهو للعدوّ غدت جميرا
فهل في كوربتكن ما يرجَّى ... ومنه الارض قد شَغَرت شُغورا
وما زالت سياسته انسحاباً ... يقاتل مُكرَهاً قلقاً ذعورا

(١٤)

عود الى خطاب حامية بور آرثور

فغير سيوفكم لم يبق منجٍ ... يفرّج عنكم الويل الدهيرا
ومن هذا يعيّركم بجبنٍ ... ويلحقكم شناراً أو دخورا (٣٥)
وأنتم في الكريهة قد حسبتم ... حياض الموت منبجساً نميرا
فلو أذعنتم من بعد هذا ... وجدتم كل ذي نصَف عذيرا
فلليابان كرات لديها ... يعود الجاحد الناسي ذكورا
اذا ما كان طعم الموت مرّاً ... فهم يجدونهُ عسلاً مَشُورا
وهذي الحرب عندهمُ جهاد ... يموت بها مجاهدهم شكورا
يكُرّ على المعاقل مستميتاً ... ويقتحم المنية مستخيرا
ومشتجرُ النصال له نعيمٌ ... يجمّش فيهِ ولداناً وحورا
ويقنع من مشاربهِ بنشْحٍ ... ويأكل بلغةً كي لا يضورا (٣٦)
ومن سينة الكرى يرضى غراراً ... على تعب ويفترش الحجيرا
له عند احمرار البأس جأش ... يدلّ بهِ السبيل المستنيرا
فما هو ناكل في الروع خوفاً ... ولا هو فاقد فيها الشعورا

(١٥)

تسليم بور آرثور

في ١ كانون الثاني سنة ١٩٠٥

لديهم صار بور آرثور دكا ... وداعي الفتح يعلنهُ الثبورا
ولجّ الضيقُ بالاجناد حتى ... غدا أمضى حماة البور بورا (٣٧)
بيضعة أشهر فنيت حصون ... أقاموها لكي تفني العصورا
حصون كالجبال الشُّمّ عزّت ... مشارفُها غدت للأُسد دورا
حصون في الذُّرى شمخت وعنها ... يعود الطَّرفُ منكسراً حسيرا
تثلّم جلها بكُرات نارٍ ... تساق أمام قاذفها نذيرا
نذيراً بالسقوط اذا تلتها ... جيوش كالفراش تؤمّ نورا
اذا ما انقض هاجمهم لفتح ... ففتح أو فمصرعهُ أستحيرا (٣٨)
كأن بواسل اليابان عطشى ... يبطن الحصن قد سمعوا خريرا
كأنهم اذا هجموا شحاح ... نثرت امامهم ذهباً أثيرا
رأى أستُسل الحصون تخر صرعى ... ويوم الفتح أوشك ان يزورا
فسلمهم بقاياها اضطراراً ... برمتها المثلّم والعميرا
وملّكهم ذخائره جميعاً ... وصار البور لليابان بورا
وبعد ان أستقل الروس فيهِ ... وشادوا في مرابعهِ القصورا
قصوراً كالنجوم الزهر تزري ... بروعتها الخورنق والسديرا

علا أسْوارَها علمُ المِكادو ونُوجي في الديارِ غدا أميرا
لروسيَّا استَطارَ البرق ينْعَى ولليابان وافاهم بشيرا
بشيراً أنهُم صرعوا الأماني وصاغوا من أهلّتها بدُورا
فأرّخَ رأسُ جيشِ الروس غَلْباً وأرّخَ قوم يابان ظُهورا

١٩٠٤ (شرقية) ١٣٢٢

القسم الثاني

الوقعة الكبرى في جوار مكدونه

في ٢٥ شباط سنة ١٩٠٥

(١)

بمكدِنَ كورَ بتْكِنُ لمْ جيشاً ... وشادَ لهُ المعاقِلَ والحصُونا
رأى الاعْتَاد وافرةً لديهِ ... فظنّ مُقامهُ حرزاً حصينا
ولكنْ رأيُ أُويَاما أراهُ ... أموراً خيّبت تلك الظنُونا
أقامَ لهُ المراصدَ في الصياصي ... وبين جُفُونهِ بثّ العيونا(٣٩)
تُخبرُهُ بما اصْطَنَعوا دِفاعاً ... لحوزتِهِمْ وكيف يُدبّرونا
أعدّ الخُطَّة المُثلى ليوم ... يُروّع حرّ أزْمتهِ السَّنينا
ورتّبَ للهجوم عليهِ رأياً ... يكونُ لمجد رايتهِ ضمينا
وهزّ جناحَي الجيش ٱلْتِفافاً ... على أعدائهِ المتَحَصّنينا
رَمى اليُسرى بكُوركي فَنُدْزُو ... فأوكو ثُمّ في نوجي اليمينا

(٢)

ودارتْ للمنُون رحَى طَحون ... لها الاجسادُ قد صارت طحينا
وطَبّق كلّ ناحيةٍ دُخانٌ ... كثيفٌ أسودٌ يُعْمي العيونا

وصوتُ القذفِ أوقر كلَّ أذن ... فان سمعتهُ تحسبهُ طنينا

فليس بمبصرٍ أحدٌ أخاهُ ... ولا هو سامعٌ منهُ الأنينا

فصار الحزنُ من دكٍّ سهولاً ... وصار السهلُ من جثث حزونا

لو انقشع الدخان بدت أمورٌ ... تردُّ المُردَ شيباً منحنينا

جيوش كيفما العينُ استدارت ... تراهم يظهرونَ ويختفونا

كأنَّ الارض بالابطال حُبلى ... تُدفعُهم حيارى صارخينا

فلا حجرٌ تراهُ العين الا ... يُحجّبُ خلفَه منهم جنينا

كأن حجارها الصُّمَّ استحالت ... رجالاً بالحديدِ مسربلينا

فلا وادٍ بتلك الارض الا ... ويخرجُ من معاطفهِ كمينا

كأن عقولهم ذهبت شعاعاً ... فليس لهم بها ما يرهبونا

فكلُّ فتىً غدا أسداً هصوراً ... وموطيءُ رجلهِ أضحى عرينا

كأن الله عن أمرٍ تخلى ... وأعطى الحكم ابليس اللعينا

ملائكةُ السلامِ خلت وأضحى ... شياطين الشرور مشمرينا

كأن رذائل القتل استحالت ... فضائل فاعلوها يفخرونا

كأن قذائف النيران رسلٌ ... أتتْ تُوحي التهوُّرَ والجُنونا

تجيءُ من السماء بمعجزات ... تؤيّد ما ادعته فيُؤمنونا

فما صعقاتُ موسى فوقَ هذا ال ... هزيمِ يُضعضعُ الجبلَ المتينا

على ورعٍ تمجّس آل عيسى ... كأن النارَ نارُ جبال سينا(٤٠)

كأن الهم فيها تجلى اذا ما استقبلوها يسجدونا

(٣)

ومنفجرُ الكرات يخطّ متناً وتشرحُ أنصلُ السيف المتونا
ترى كرةً تُفجرُ من حشاها وتبعث مع شظاياها المنونا
فكم أيدٍ بها بُترت وسوق بها كُسرت وكم بَقرت بطونا
وكم من أضلعٍ سحقت وعنقٍ بها دُقت وكم شقت جبينا
أحال الرّعب لون البيض حتى غدوا بخصومهم متلبسينا
فيومٌ ينقضي ويجيء يوم أمرُّ يسيلُ من نكدٍ شؤونا
فلا زار الكرى جفناً كليلاً ولا زارت سيوفُهم الجفُونا
مئات الساقطين غدت ألوفاً ألوفُ الواقفين غدت مئينا
تبيد كتيبةٌ وتُحَلُّ أخرى وقوّاد الكتائب حائرونا
ترى رأساً بلا جسمٍ وجسماً بلا رأس يفيض دماً مَعينا
هناك فتىً يئنّ ولا سميعٌ ويجأر أن يُعان ولا معينا
وذلك بالعناصر مستعين وغير مفيده أن يستعينا
فأين بنوهُ لو نظروا أباهم وقد نسيَ الاقاربَ والبنينا
ألا ويلُمّهِ لو أبصرته تفيض جراحه دمه السخينا
تراه تنوشه الشفرات ضرباً بلا برّ فتلقيهِ طعينا (٤١)
فاما طلقة خرقت فؤداً واما ضربةٌ قطعت وتينا (٤٢)

على مدر الثري أمسى جديلاً وفي جوف الطُّيور غداً دفينا[٤٣]

(٤)

أيا من شيعت للحرب صبًّا وفيًّا حاملاً منها الفتونا
بكى لفراقها جزعاً وحزناً وكان بسفح غبرتهِ ضنينا
وعندكِ رسمه أبقاه ذكرى اذا نفعتْ لعلك تذكرينا
فلو أبصرته والرّوع فاش تذيب خطوبه الجسد البدينا
وأفواه البنادق فاغرات ترُشُّ كراتها غيثاً هتونا
ومصلتة الحراب مسددات الى الاحشآء تخترق المتونا[٤٤]
وألسنة اللهيب بكل وجهٍ كأن الارض قد صارت أتونا
وأعمدة الدخان غدت ضباباً بهِ فُعُل الشّرور يحجبونا
يذود الشمس والافلاك كي لا ترى في الارض ذا العمل المُهينا
وأهوال الزحام مروّعات وأبطالُ الزّحام مجنْدلونا
لكنتِ رأيت ذاك الجسم طيفاً وذاك الوجه مشحوباً حزينا
رأيتِ سواد لِمّته بياضاً وصفحةَ خدّه مُلئت غُضونا
وكنتِ نفرت منه وخُنت عهداً وأخلق بالغواني أن تخونا

(٥)

ويا أشلآء مَن باتوا قديماً بأرماسِ القبور مُدفَّنينا
رقدتم في مضاجعِكم طويلاً بمكدن مُكرَمين مبجَّلينا

لئن أفنت جسومكم قرونٌ ... فانَّ رُموسكم تُفني القرونا
تُرَشُّ ظُهورُها نَدًّا ومِسكاً ... ويحرُسُها بنوكم واقفينا
أمِنتم في الثرى حَدَثَ الليالي ... وهم فوق الثرى متخوّفونا
كذاك الموتُ راحةُ كلّ حيٍّ ... ومَن نزل الثرى أضحى أمينا
جُدودَ بني السماء ألا استفيقوا ... فنارُ الحرب تمنعكم سكونا
فها قد أطبقَت للرَّوع ريح ... تُقصّف من ظلالكمُ الغصونا
وها قد أُضرِمَت شُعَل المنايا ... وأصبح عزُّكم ذلاً وهونا

(٦)

مجالٌ ضاع فيهِ الرشدُ حتى ... لقد نسيَ الخدينُ بهِ الخدينا
ومن جزَعٍ بهِ الارواحُ طارت ... لعرش الله تشكو الظالمينا
تؤمُّ العرش أفواجاً فأضحى ... ملائكة الاعالي ذاهلينا
وسكّان السما بُهتوا وقالوا ... تُرى في الأرض ماذا يفعلونا
فهل ضاقت بهم حتى تجارَوا ... ألوفاً للخلود مُهرولينا
فيا ملك السماء أطِلَّ وارحم ... عباداً في دعائك يجأرونا
تَزُجُّ بهم كأنهمُ حديدٌ ... وأنت جبلّتهم ماء وطينا
أمرتَهمُ بطاعة مَن تولى ... رقابَهُمُ فلبّوا طائعينا
وليس لهم اذا ائتمروا ذنوبٌ ... فكلُّ الذنبِ ذنبُ الآمرينا
أنِر بضيائك الزاهي قلوب الـ ... ـملوك لعلهم يترفقونا

(٧)

هجومٌ من بني اليابان يُبدي ... لكُور بتكن الخبر اليقينا
هجومٌ صادقٌ يتلو عليهِ ... حديث منزَّهٍ عن أن يمينا
يُمحّضُه النصيحة بانهزام ... لعل الفرَّ يُبقي السالمينا
فخلَّى مُكْدناً وسرى شِمالاً ... الى تيلِنْغ ثم الى كِرينا
وفي خَرْبين رام له محطًّا ... يلُمّ رجاله المتشعثينا (٤٥)
وخلَّف نصف عسكره وراه ... قتيلاً أو جريحاً أو سجينا
وذاق هزيمةً لم تَحكِ مِثلاً ... لها أحدوثة المتقدمينا
فسيم مهانةً وانحط شأناً ... وأصبح بعد عزتهِ مشينا
ونحّوه عن الامر اُعتقاداً ... بان النحس صار له قرينا
وما هو فاعل في حرب قوم ... يرون الموت في ذي الحرب دينا
أتوها طائعين وما لديهِ ... سوى من أُقحموها مكرَهينا
تجلد في البلاء وذاق ضيماً ... ودام على شدائده رزينا
على أعدائهِ بطلاً شديداً ... وما بين الجنود أباً حنونا
فحيَّا الله مظلوماً صبوراً ... وحيا قائداً حراً أمينا
أقاموا لينَفِتْشَ له خليفاً ... عسى آنُ السعادة أن يؤونا
وبات الناس ينتظرون عقبى اُلـ ... تبدل ما عساها ان تكونا
هُتاف البشر في اليابان أضحى ... يُرد لهم صداه من بكينا

بنصر ساقه قدَر عزيز أتاح لهم به فتحاً مبينا
وقيل الروس أبطال شداد يجوزون المضايق صابرينا
وقيصرهم أعز فليس يعنو وأرفع شيمة من ان يَدينا
همُ الصعقات في سيفَستَبُول على أعدائهم وهم الذينا
لئن غُلبوا بأقصى الارض يوماً فبعد الغَلب يوم يغلبونا

القسم الثالث

وقائع أسطول البلطيك

(١)

تجهيز الاسطول

عقدوا ببطرسبرج جمعياتهم ... وغدت بها آراؤهم تتشعَّبُ
حاروا بذا النحس الذي أضحى لهم ... كالظل في كل المواطن يصحبُ
ما لاح في فلك السعادة طالع ... الا غدا بالمنحسات يُحجبُ
نظروا ملاذ فخارهم متداعياً ... وبناء عزتهم يكاد يخرَّبُ
فتراوحوا ما بين رأي خائب ... وقعوا بهِ فتلاه رأيٌ أخيبُ
علموا بان البحر ان هو دام في ... أيدي العدا فالفوز عنقا مغربُ
شدوا من البلطيك أسطولاً لهم ... من ذكره الغمرات كانت ترهبُ
نثروا بذور رجائهم في قومهم ... أملاً بمنثور الأماني يُخصبُ
عقدوا اللواء على السفائن كلها ... لمؤمَّرٍ هو بالفنون مدرَّبُ
خرج الامير يخوض في أسطوله ... لجج البحار وأين منه المطلبُ
لينال من طوغو رغائب نفسهِ ... والنجم من تلك الرغائب أقربُ

خرجوا وقيصرهم يشيّع قائلاً ... معكم قلوب جميع شعبي فاذهبوا
ساروا بهِ والرُّعب حشو قلوبهم ... مهما بدا في الافق قالوا مركبُ
ان لاح فوق المآء ظلُّ سحابة ... هرعوا لحمل سلاحهم وتأهبوا
جند أتوها لا الفراق عليهم ... سهل ولا وِرْد المنية طيبُ
رجل يقـدم رجْله ويردُّها ... فيساق كرْهاً أو يُجرُّ ويضربُ
هذا ينوح وذاك يبكي يائساً ... من راحة الدنيا وذلك يندبُ

(٢)

مسير الاسطول

سفن لطلعتها جمالٌ رائع ... وعلى متون الغمر مجد مرعبُ
فهي الجواري في البحار خضابها ... قار وفي زفراتها تتنقبُ
من شامها في السير ومي تغالب ال ... أمواج يحسب أنها لا تُغلبُ
فكأنها جزُر تكنف سطحَها ... شمّ الحصون يغارمنها الكوكبُ
وكأنها الاجبال طافية على أ ... لـ غمرات تخترق العباب وتنهبُ
وكأنها ظمن وصوت صفيرها ... صوت الرواسم والبحار السبسب[٤٦]
ترمي الى أقصى البلاد ودربها ... صعب يذلَّل أو بعيد يقربُ
ما أمتد حبل من أشعة نورها ... الا انجلى أفق وأُفرج غيهبُ
ترمي الدخان كأنها جبل اللظى ... وتجرُّه حتى تقولَ مذنَّبُ

كانت على متن المياه كأنجم ... في القبة الزرقاء لا تتغيبُ
قد طال أثناء الطريق وقوفها ... لم تدرِ في أيّ المسالك تذهبُ
تسعى الى طوغو لتهدم مجده ... وتعيد مجداً كاد منها يُسلبُ
تجري اليهِ وفوّهات بخارها ... تَنْمى بأنباء الثبور وتنعبُ

(٣)

وقعة سوشيما

في ٢٧ ايار سنة ١٩٠٥

دخلوا بسوشيما وطوغو رابض ... في حوضهِ وهم الحيارى اللُّغب[٤٧]
فكأنهم عند الدخول خوارج ... وكأنه عند الهبوب مهلبُ
أمّوا خبيراً بالكريهة عارفاً ... كيف المكايد والحبائل تنصبُ
حَوِل تمرّس بالصعاب محنك ... بطل شديد في الحروب مجربُ
بمضيق سوشيما تخير مَجثماً ... حتى اذا أزف القضا يتوثب[٤٨]
كالليث يأتيهِ القضاء برزقهِ ... وهو المقيم بأرضهِ يترقبُ
لمعت بروقهما فبرق صادق ... في قصد مرماه وبرق خُلَّبُ
يرمي الكُرات الروس كاذبةً وفي ... موعودها كرة العدى لا تكذبُ
أضحت على يده تُجرّع حتفها ... ومن الذي دافت سموماً تشربُ
فكأنهُ اذ هبّ فيها ضيغم ... وكأن هاتيك الدوارع ربربُ[٤٩]
غدت الوجوه الحمر صفراً والبحا ... ر الصفر حمراً بالدماء تخضبُ

فالبحر من حنقٍ تلظت عينهُ ... بالنار والدم فهو أحمر ملهبُ
والجوّ طبّقهُ الدخان فصار من ... فَرق يصعدوهو أشعث أشيب (٥٠)
حميَ الوطيس وكان يوم أسود ... مرٌ تسيل بهِ الشؤون عصبصب (٥١)
يوم له ما بعده من أعصر ... هو بينها ذيل السيادة يسحبُ
علموا غداةَ لقوه ثار بوجههم ... كيف اللقآء وكيف كان المقلبُ
ضاق السبيل أمامهم حتى رأوا ... أن البحار وراءهم هي أرحبُ
ردوا العزائم للهزيمة والذي ... هربت عزيمته فأنى يهربُ
ودوارع البلطيق غاص شجاعها ... في لجة واستأسر المتهيبُ
قدأشرقت في الغرب وانبعثت الى ... أقصى المشارق حيث كان المغربُ
كالحيّ يبلغ حتفهُ اذ ينقضي ... بحياتهِ السفر الطويل المتعبُ

عجباً لأسطول تقاضى مَدَّه ... عمل السنين بنصف يوم يخربُ
بالامس كان يطوف في خيلائهِ ... وأميره يرنو اليهِ ويعجبُ
واليوم أصبح طاوياً منشوره ... يهوي الى ظلم الحضيض ويرسبُ
بهظ المناكبَ منه كِبرُ رجاله ... أخلِقْ بمبهوظ المناكب يُنكبُ
أضحى من الالغام فوق جهنم ... ومن الكرات عليهِ وبل صيّبُ
تباً لها حرباً تفحّل جورها ... هلك البريء بها وعاش المذنبُ

عجب الانام لشدة الغلب الذي ... ذاقوا ولو غلبوا فذلك أعجبُ

فتغلب اليابان فيهِ غرابة ... لكن جهل الروس أمر أغربُ
هجموا ولا علم لهم بخصومهم ... ماذا أعدوا للدفاع وألّبوا
من ذا يغول الليث وسط عرينه ... الا الشقيُّ الغمرُ من لا يحسبُ
نصبوا حبائلهم وقد وقعوا بها ... ان الظلوم يُصاد في ما يَنصِبُ

أنى تمزَّق ذلك الأُسطول بل ... أين الذي نسبوا اليهِ وأطنبوا
من قوَّة ناء الخِضمُّ بحملها ... متثاقلاً وارتجَّ منه المنكب(٥٢)
بل أين وعدُ الروس أين وعيدُهم ... أين الفخامة والجلال المرهِبُ
ركبوا من البغي الوخيم حقائباً ... فرَسُ البغاة حقيقةً لا تُنجِبُ
ما كان في الأسطول الأَغرة ... وخيانة وظُلامة وتعصُّبُ
فهوى والاستبداد كان رفيقَه ... وفسادروسيًّا كذلك يصحبُ

عرفوا بان الظلم ليس بغالب ... عدلاً ولا صدع التعسف يشعب(٥٣)
والمستبدُّ المستجيشُ عبيدَهُ ... ان نازل الاحرار لا يتغلبُ
أيفوز مهضوم الحقوق بمن لهم ... حرية بصدورهم تتلهبُ
ظَفرُ الذي أعتادُه جهل بمن ... اعتادُه علم رجاء مجدبُ
فالعلم منصور اللواء مؤيد ... والجهل مشقوق الجبين مخيبُ
والعدل ليث عاصم لجواره ... والظلم خَصم ان تعرض ثعلبُ

نصر به اليابان تمّ حبورُهم ... لذّ الطعام لهم وساغ المشربُ
طرب الصديق به وغصّ بغيضهم ... في ريقهِ وتحير المتذبذبُ
فيهِ من المجد الفخيم غدا لهم ... بيت على هام النجوم مطنّبُ
أما ديار الروس فارتدتِ الاسى ... وغدت تنوح على الفخار وتنحبُ
نحبوا على أسطولهم ورجالهم ... ورأوا خروق جلالهم لا ترأب(٥٤)
دحر الذي قد جيشوا وهوى الذي ... شادوا وخاب جميع ما قد رتبوا
خُضِدت مناخسُهم وفُلّ حسامهم ... وتهشمت أظفارهم والانيبُ
كثرت شكاويهم وقالوا خانهم ... قدَر وغالبهم قضاء أغلبُ
ذو الحزم يتخذ النتائجَ راضياً ... والغُمرُ يتّهمُ الزمان ويعتَبُ

ظَفَرٌ تخون بهِ البلاغة أهلها ... مهما أجادوا في البيان وأسهبوا
الا اذا خطبوا كما كانت على آلـ ... ـغمرات أصوات المدافع تخطبُ
فمَن البليغ ومن له بقريحة ... موحىً لها تملي عليهِ ويكتبُ
أو يستعيرُ لظى جهنم ألسناً ... تتلو أحاديث الشرور وتُعربُ
هي وقعة لا البحر عاين مثلها ... من عهد نوح يوم أضحى يركبُ
كلا ولا حدث انتصار شبهُه ... ذُهل الورى بتمامه وتعجبوا
لن يَسأل التلميذُ عنهُ معلّماً ... قبل المعلّم سوف يُخبره الابُ

﴿ ٤ ﴾

عقد الصلح

والقيصر المغرور في أجناده ... أضحى يميل الى السلام ويرغبُ
قد كان يكره من يُفاتحهُ بهِ ... واليوم حنّ له وأوشك يطلبُ
ما مدّ رُزئلت بصلح كفهُ ... الا أتاهُ ملبياً يترحبُ
ورأى لها ديويت فهو جُذَيْلها ... وهو العُذَيق محكك ومرجَّب (٥٥)
رجلٌ خبير بالأمور محنَّك ... خصم لدود بالسياسة قُلَّبُ
بدهائهِ الخلاَّب صار كأنه ... نمر وكمورا لديهِ أرنبُ
جذب الاجانب واستمال قلوبهم ... ان التزلف يستميل ويجذبُ
خلب العقول بسحرهِ وبيانه ... وهي الفصاحة بالعواطف تلعبُ
فُلَّت سيوف الرُّوس والنار التي ... وقدوا خبت وانحلّ ماقد كتّبوا
وغدوا على جرف يطل على الردى ... فانتاشهم قلم أحدّ مثقبُ
قد نال ديويت بفضل يراعه ... ما لم ينله مؤثر ومذرّب (٥٦)
فتخوّف اليابان ردّة حزبهم ... حتى رأوا ان التحاجز أنسبُ
واذا رأيت بأن زادك مأكل ... للناس فاطعمه وأنت مرحبُ
فاذا بششت لهم نسبت الى الندى ... واذا منعت فان زادك يُغصبُ
قبلوا وقالوا انما حقن الدما ... أولى من الطمع الذميم وأوجبُ

وأبت عليهم حلبة الاقلام ما يوم الزحام أقرفيه المقضب[٧٥]

حال تذكرنا بحالتنا مع اُل يونان اذ هاجوا الانام وحزبوا
فلقد كسِبنا بالصوارم فوزنا ولدى انعقاد الصلح ضاع المكسب
هذي كريدتريك انى أصبح اُل مغلوب يعطى والمظفَّر يُسلبُ
عبثاً غدت تنضى الصوارم للوغى ويشدُّ سرج أو يحدد مخلبُ
ويؤمل الشجعان عقبى نُصرة أرواحهم فيها تُباع وتوهبُ
فالعصر عصر مآربٍ ومنافعٍ كلٌّ له في ما يحاول مأربُ

مولد وليّ عهد روسيا الكسيس

في ١٢ آب سنة ١٩٠٤

بعد انصداع شأن اسطول بورآرثور

في ١٠ آب

(١)

للرُّوس عرشٌ بالعزائم شيَّدوا ... أركانهُ فهو القديمُ السرمدُ
فيهِ القياصرةُ العِظام كأنهم ... للفتح أسياف تُسل وتُغمَدُ
أقْيالُ رُوْمانوفَ من راياتهُمُ ... أضحت على عُشر البرية تُعْقَدُ
ما زالَ منهمْ سيِّد عن عرشهِ ... الا تلاه على الأريكةِ سيِّدُ
واليومَ قيصرُهم تقولا بأسهُ ... فاشٍ تخرُّ لهُ العبادُ وتَسجُدُ
ملكٌ تلاحظهُ السُّعودُ فان كبا ... مُدَّت من الجدِّ الرفيع له يدُ
ما قطُّ أغضبهُ زمانٌ مُدْبر ... الا وأعتبهُ الزمانُ المسعِدُ
الدهر يخشى بأسهُ حتى سعى ... بعد الاساءة نحوهُ يتودَّدُ
أولاه تعزية بساعة حُزنهِ ... طِفلاً يخفِّفُ خَطبهُ ويبرِّدُ

(٢)

يا أيها الطفلُ الموسدُ هل ترى ... كيف استفزَّ أباكَ هذا المولِدُ
لمَّا ظهرت انجاب أفقٌ ادكن ... بحياتهِ وابيضَّ يومٌ أسوَدُ

قد جئتهُ والحربُ فاغرةٌ فماً تجتاحُ مَضرب جُنْده وتُبدّدُ
فيك استعاض عن الجموع كأنهُ بك واجد ما في المعارك يُفقدُ
نَسِيَ الألوفَ تبيدُ من أجناده لمّا ظهرتَ وأنت فذٌّ مُفرَدُ
أجمدْتَ عَبرَتهُ على قتلى الوغى ولفاقِديهم عبرةٌ لا تجمَدُ
بردّت حسرتهُ وعند جُنوده لِنوَى بَنيهم حسرةٌ لا تَبْرُدُ
أمر المدافعَ فانبرتْ صعقاتُها باذاعةِ البُشرى تعجُّ وتُرعِدُ
هل ذكّرتهُ أن في منشوريا نار المدافع للكتائبِ تحصدُ

(٣)

أهلُ البلاط غدوا يُهنيءُ بعضهم بعضاً ويشكر للاله ويحمَدُ
لما طلعت طلعت فيهم باكياً وبدتْ عليك كآبةٌ وتَوَجُّدُ
هم يضحكون وأنتَ تبكي بينهم مع أنّ حظَّك بالمسرّة أزيد
لم تجْنِ بعدُ جنايةً يُبكى لها وهمُ استبدُّوا في العباد وأفسدُوا
حَسِبوا السماءَ تخلّفت عن عدْلها مع أنّ عينَ الله يقْظَى ترصُدُ
طمحت الى أرض السوى ابصارهم ولسلْبها حشدوا الجيُوش وجندوا
أمروا بقتل النفس وهي بريئةٌ وعصَوا وصايا ربهمْ وتمردوا

(٤)

هل كنت تلقى اذ نزلت الى الثرى تلْك النفوس الى الاعالي تصعدُ
فتظلمت وشكتْ اليك عذابها ممّا يذُوب له الأصمُّ الجلْمدُ

فأتيت مكتئباً على ما نابها ظُلماً وأنت من العيوب مجرَّدُ
وعرفت انك بارحٌ عدلاً الى دارٍ بها عَيش التقيّ منكَّدُ
الجَورُ مفكوك الأعِنَّة مُطلقٌ والعدلُ مغلول اليدَين مُقيَّدُ
في المهد أنت اليوم معصومٌ فهل تنمو وفيك من الطهارة مُرشدُ
فتَبُث اصلاحاً وتولي رحمةً تحيا بساكِبِها العباد وتسعدُ
أم تَستَبيك مفاسدُ الدُّنيا ألا ان المحيط مُبدّلٌ ومجدّدُ
فتَشِبَّ منتقماً حريصاً هاضماً حق الرعيَّة تَستبيح وتحقِدُ

(٥)

ها أنت تنمو في عناية والدٍ حانٍ يذود السوء عنك ويطردُ
والبعض من أبناء جيلك لا أبٌ يحنو عليهم ان بكوا وتنهَّدوا
آباؤهم سَقَطوا بساحات الوغى ليوسّعوا لك دولة ويمهّدوا
فاذا نَموا وملكت فارفُق ذاكراً حق الذين على ولاك استُشهدوا
وعساكَ تنشأ عادلاً لا تدَّعي أن الجميع لاجل عرشك أُوجدوا
فالمُلك جسمٌ والعدالة دِرعُهُ دِرعٌ بمحبوك الحديد مسرَّدُ
والمُلك بُستان أعزّ سياجهِ عدلٌ به ريح المخاوف تركُدُ
يُتَوقَّع الاصلاح منك وليتنا نحيا لنعرِف ما يجيء بهِ الغدُ

تفسير بعض الالفاظ الواردة فى هذه القصائد

(١) أسأر — أبقى والسؤر هو البقية

(٢) الخنع — الذل والغدر

(٣) الترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر ما بين الترقوتين أو البارز من الصدر بين العنق والثديين

(٤) البرور — جمع البر وهو خلاف البحر

(٥) الشعرى العبور — كوكب في برج الجوزآء

(٦) السرايا — جمع السريَّة وهي القطعة من الخيل

(٧) صخب — صات شديداً

(٨) الجمير — موضع اجتماع القوم

(٩) الزجور — الحرب الشديدة الدلوح

(١٠) المبير — المهلك

(١١) الحفير — القبر

(١٢) المزير — الشديد القلب والقويّ النافذ

(١٣) أعتاد الحرب — أدواتها وعدّتها

(١٤) المعاقل — هي الحصون وتمور تهتز وتميل الى السقوط

(١٥) يُغذّ — يسرع في السير

(١٦) القزم الزمير — القميء الصغير الجثة الذي لاغناء عنده

(١٧) رُهام الطير — ما لا يصيد منها

(١٨) الهدير — تغريد الحمام

(١٩) السكور — السدود

(٢٠) أبسله — أسلمهُ الى الهلكة وأحلس بمعنى ألزم والضبير هو الشديد

(٢١) الشكير — صغار الشعر والريش

(٢٢) النضح — الدفاع

(٢٣) السجير — الخلّ الصفيّ الودود

(٢٤) الشطير — البعيد

(٢٥) المآزق — مضايق الحرب

(٢٦) البسور — الشجاع الشديد البأس

(٢٧) النعير — الصراخ في الحرب

(٢٨) المور — السحاب الكثيف

(٢٩) الجؤور — رفع الصوت في الدعاء

(٣٠) أوفض — انتهى في مسيره وانصرف

(٣١) ندر العظم من موضعهِ — زال

(٣٢) الخشاش — حشرات الارض

(٣٣) المتن — الظهر للركوب

(٣٤) الذمير — الشجاع الباسل

(٣٥) الدخور — الذل والعار والصغار

(٣٦) النشح — الشرب القليل دون الريّ والبلغة ما يُتبلغ بهِ من قليل الزاد . يقال صار شرابهم نشحاً وطعامهم بلغة ونومهم غراراً

(٣٧) البور — الهالك

(٣٨) استحير — على المجهول أسبغ

(٣٩) الصياصي — جمع صيصية وهي مرتفعات الارض والمشارف التي يُمتنع بها

(٤٠) تمجّس — صار مجوسياً يعبد النار

(٤١) تنوشهُ — تأخذه وتعبث بهِ

(٤٢) الوتين — العرق أو الشريان الكبير الخارج من القلب

(٤٣) المَدَر — الكتل من التراب

(٤٤) المُصلَت — المسلول والمُنتضى

(٤٥) المتشعّث — المتفرّق والمتبدّد

(٤٦) الرواسم — الابل السريعة السير

(٤٧) اللُّغَّب — جمع اللاغب وهو من تعب وأعيا

(٤٨) المجثم — المربض

(٤٩) الربرب — القطيع من المهى

(٥٠) الاشعث — المغبرّ والمتلبّد

(٥١) عَصَبْصَبٌ — يوم شديد الحرّ

(٥٢) الخضمّ — البحر

(٥٣) يُشعب — يجبر

(٥٤) تُرأب — تسد وترقع

(٥٥) جذيلها المحكك وعذيقها المرجب عبارة عن صاحب شأنها والجذير بها والجذيل هو الوتد المركوز في وسط المعطن تحتك بهِ الابل والعذيق المرجب هو غصن الكرمة المرفوع القوائم بما فيهِ من الحمل الكثير

(٥٦) المؤتر — هو القوس والمذرّب هو السيف المرهف

(٥٧) الحلبة — الميدان والمقضب السيف

كتاب تولستوى لقيصره

بعث حضرة الناظم العالم خلال الحرب الروسية في ١٨ ك ٢ ١٩٠٥ الى أحد اصدقائهِ بتعريب كتاب الكونت تولستوي الروسي الى القيصر الذي كان بعثهُ اليهِ منذ أربع سنوات عند ما كان ذلك الفيلسوف مشفياً على الهلاك وحاسباً انهُ مائت لامحالة مما استحكم فيهِ من الداء الذي ظنهُ عقاماً وقد تعاقبت الأشهر والسنون والرسالة مطوية في خزائن قليلة لا وقوف عليها الا للعدد النزر من أصحاب الفيلسوف الذين لم يجسروا على نشر ذكرها أو التحدث بشأنها الى ان قوي حزب الاصلاح بسبب الحرب الاخيرة وانطلقت الاقلام من عقالها تترجم شعائر الأمة كما توحي اليها الاحوال فظهرت رسالة تولستوي على صفحات الجرائد وانتهت الى نسخة التيمس الصادرة في ٦ ك ٢ (يناير) ١٩٠٥ تزف لقرائها تلك الرسالة وتثني على أبي عذرها ثناءً طيباً فآثرت الحاقها بهذه القصيدة الفريدة لعلاقتها بالموضوع ولتكون عبرة للملوك والامراء والغوغاء والدهماء قال تولستوي ماتعريبه بقلم ناظمنا النابغة :

أيها الأخ العزيز : ان خطابك بهذا النص يظهر لي أليق من غيره «مما تعودت سماعهُ من عبارات التبجيل والتعظيم» أولاً لاني

أخاطب فيك الآن انساناً أو أخاً في الانسانية متغاضياً عن اتصافك بأوصاف الملك وعظائم السلطان وثانياً لاني مستقبل الموت العاجل ولم يبق في حياتي الا دقائق قليلة فكأنني أكتب اليك من العالم الآخر وتأبى نفسي الانصراف من هذه الدنيا الفانية قبل ان تبث اليك ما تكن وتعلن وما تئن لهُ من أحوال هذه الأمة وأحوالك معها وقد ضرب الشقآء عليها سرادقاً يُرصد لها سوء المغبات و يبلغها الى جرف الهلاك اذا طال سراها في هذه المجاهل المترامية .

ثلث روسيا اليوم تديرهُ السلطة الخاصة وهو محروم من كل قانون ونظام. جماعات البوليس العلني والخفي تزداد كل يوم. السجون والمنافي ومواضع الارهاق « الكورك » صارت تربي على العدد . المجرمون السياسيون أصبحوا يزيدون بعددهم عن المذنبين بالجرائم العادية . وصارت الجريمة السياسية « التي لا يفهم معناها غير المتأدبين بآداب الدولة والحاصلين على نصيب من العلم والتهذيب » كثيرة الصدور من العملة والجهال . السيطرة على الاقلام بلغت حداً لا تطيقه النفوس الحرة وانتهت في أيامك الى مبلغ لم نعرف لهُ نظيراً في أقبح أيام الاستبداد . الاضطهاد الديني ومعارضة عباد الله في عباداتهم وتأدية فرائض ربهم وصلت الى حالة يطيب معها الموت في كل عاصمة ومدينة نرى الجنود تعبىً وتُنفذ والاسلحة تُرصد

وتشحذ للاقتصاص من الأمة الناقمة . هذه الفصائل من الجنديسير بها القواد بأمرك لقتال رعيتك والتنكيل بأبنآء دولتك وجلد جلود الافراد من الشعب الروسي الذين لايجسرون على التذمّر من هذه الاسوآء فقد شبّ النزاع الاهلي وقام الأخ على أخيهِ في ارجاء كثيرة من بلادك وتفاقم الشرّ منذراً بأوخم منهُ

الفلاحون في ظلك الظليل يناهزون مئة مليون بعددهم وهم قوام دولتك وينابيع خزينتك وحماة حوزتك فهل تدري أنهم يزدادون اقلالاً وفقراً والمسكنة تقتحمهم بذلها سنةً بعدسنة بما يوضع عليهم من الجزى الباهظة التي مابرحت تنمو بمقاديرها لتتلقى النفقات الفاحشة التي تقوم بهـا الدولة حتى أصبح الجوع كثير الانتشار في انحاء البلاد والاستياء من الحال الحاضرة فاشياً بين الأهلين العالم منهم والجاهل

وسبب ذلك كله هو ان أعوانك الذين تتوكأ عليهم وتلجأ الى آرائهم وتهتدي في مشكلاتك بهديهم يؤكدون لك ان سلامتك وسلامة دولتك لاتقومان الا بمنع العقول عن الترقي وايقاف نمو الأمة في عمرانها ومدنيتها

على ان صدّ النهر الكبير عن جريهِ أسهل من صد الأمة عن النمو والارتقآء الذي هو صفة للحيّ غير منفكة عنهُ تجري بأمر الله سبحانهُ

ولو كره المخربون

بطانتك يشيرون بسياسة العنف ويزيّنون لك الاستبداد والعسف ولهم في ذلك أوطار ومآرب يقضونها منك ومن أمتك وهم يقولون في أنفسهم الخبيثة ان بلغنا مشتهانا فعلى الدنيا السلام .

« Aprés nous le dèluge »

لاعجب من فعالهم وهم قوم انتفاعيون يبغون الخير لانفسهم انما العجب كل العجب منك وأنت الرجل الحرّ الكامل الذي لاينقصهُ شيء من مقومات العلم والعمل كيف تصدّق مقالهم وتصغي الى أضاليلهم وترتكب في سبيلهم أقبح الجرائم في طلب المستحيل الذي يُغرونك بهِ من ايقاف الترقي البشري وصد نشوء العمران الذي هو سنة الله في خلقهِ

لايخفى عنك ان المعايش البشرية منذ عرفت الى اليوم مازالت تتبدل ضروبها الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية فهي أبداً تنتقل من الخشونة والقساوة الى الرفق واللين وتتدرّج من العنف الى اللطف ومن الاعتباط الى الاحكام والقصد امامشيروك فيقولون لك خلاف ذلك مؤكدين لك ان الديانة الارثوذكسية والسلطة المطلقة اللتين كانتا صالحتين للأمة في القرون الخالية هما اليوم كما كانتا قبلاً وان الاجدر بك ان تحافظ على المذهب الارثوذكسي

والسلطان المطلق مهما انفقت في هذا السبيل و بدون ذلك لا يستقيم لك أمرٌ في انحاء بلادك وهذا القول فيهِ خطأ مثنىً : شواهد الحال لاتدع لأحد مجالاً ليدعي ان المذهب الارثوذكسي هو اليوم راسخٌ في نفوس الأمة تميل اليهِ بطبعها كما كان لها في الاجيال المنصرمة لأن التقويم السنوي الذي يضعهُ مراقب المجمع المقدس عندنا يبين ان المذاهب الجديدة تنشأ كل سنة واصحابها يزداد عددهم بسرعة عظيمة . وفوق ذلك لو كان المذهب الارثوذكسي من لوازم أمتنا وراسخاً في طبيعتنا لما احتيج في المحافظة عليه الى استعمال العنف والارهاق

كذلك هي الحال في الحكم المطلق الذي كان مقبولاً عند ما كان الروسيون يعتقدون ان القيصر يحكم عليهم باذن الله وانه معصوم من الخطإ تديره يد العناية فلا يفعل الا ما شاء الله من خير أو شرّ . اما الآن وقد اصبح غالبهم يعلمون أو يستطيعون العلم بعد قليل من الدرس والمراجعة ان القياصرة الصالحين قليلون جداً وأيام دولتهم تعدّ من سعود الامة التي تقع مرّة في القرن والقرنين وان اكثر القياصرة الذين ركبوا عرش روسيا كانوا مخرّبين ظالمين أو جهلة خالعين مثل يوحنا الرابع و بولس . والامة اليوم تدري جيداً أن القيصر مهما كان بالغاً من الذكاء شأواً بعيداً لا يستطيع ان

يدير شؤون مئة وستة وثلثين مليوناً من الخلق بل الحكم والادارة والامر والنهي موكولة الى أعوان يناط بهم العمل وهؤلاء الاعوان يهمهم الاحتفاظ بمناصبهم اكثر مما يهمهم النظر الى مصالح الامة

لعلك تقول أن القيصر يختار لمشورته قوماً مشهوداً لهم بالفضل بعيدين عن الاغراض . أقول ان القيصر لسوء الطالع لا يستطيع ذلك لانه ليس له معرفة الا بعدد قليل من الافراد الذين اتصلوا بهِ اما اتفاقاً واما بالتزلف والاحتيالات الكثيرة وهؤلاء القوم لا يفتأون يحجبون عنه كل من يخشى استعماله وتمزّيهِ عليهم فالقيصر اذن لا يختار اصفياءه وأعوانه من بين هاتيك الالوف من رجال العقل والنشاط والمعرفة والاخلاص الذين يتلهبون غيرة على أوطانهم ويذوبون شوقاً الى التمكن من خدمتها بل يتخذهم من أولئك العشرات الذين كان بومارشاس يقول فيهم:

« Médiocre et rampant et on parvient à tout »

فان كان السواد الاعظم من الروس يشعرون بوجوب الطاعة للقيصر فهم لا يشعرون بها لرجال حاشيتهِ الذين لم تثبت لهم على أحد مزية عقلية أو عملية أو اخلاقية ومع ذلك فهم يأمرون في الامة باسم القيصر وينهون

أما بمقدار اخلاص الامة لك واغتباطها بك و بسلطانك المطلق

فلا أراك الا مغروراً بالهتاف الذي تسمعه من السواد الكثيف الذي يقف لك ويركض خلفك عند ما تمرّ في شوارع موسكو أو غيرها من العواصم . فلا تزعم ان هذه الظواهر تدل على شدة التعلق باهداب عرشك واعلم ان تلك الغوغاء ليست الا زمراً من المتفرجين الذين يصيحون مع الصائحين ويخرجون هكذا بالصراخ والهتاف لكلّ حادث غير مألوف وفي كثير من الاحيان يجمعهم رجال الشرطة بأمر عمالك ويعلمونهم كيف يجأرون بالدعاء لك ليظهروا لك ان حكمة عمالك وسداد ادارتهم في العمل الذي وليتهم اياه قد أنطق الالسنة بمديحك وعقد القلوب على ولائك تزلفاً الى خيرك وطمعاً بما عندك من الظل الوارف والعيش الخضال . كما جرى في خاركوف لاستقبال جدّك اذ غصت كنيستها الكبرى بالموظفين المتنكرين والحاكم يقول له هؤلاء هم أعيان البلاد يطرئونك ويقفون القلوب على محبتك وطاعتك. عند مامرّ قطارك القيصري لو تيسر لك الدنو من تلك الجموع المزدحمة خلف صفوف الجند لسمعت من أولئك الفلاحين السذّج جملا بعيدة عن الاخلاص ومنكرة للسلطان المطلق . أولئك البائسون الذين أخرجهم جندك من بيوتهم واكرههم على ترك أعمالهم والمسير من قراهم ومزارعهم ساعات كثيرة ليقفوا لك في الطريق ويصرخوا عند مرور قطارك

أتاموا أياماً طوالا في انتظارك وقد يبس زادهم وفني صبرهم وازرقت شفاههم من البرد وارتخت ركبهم من طول الوقوف. هؤلاء كانوا ينطقون بلسان الامة بعبارات تسوءك لو سمعتها وتظهر لك كذب ما يموه بهِ عليك بطانتك من رضا الامة عنك وارتياحها اليك

منذ خمسين سنة في أيام نقولا الاول كانت مهابة القياصرة في قعسها اما الآن فقد تقلصت تلك المهابة وتضاءل ذلك المجد وصار الكبير والصغير يجسر على التنديد بأعمال رجال الدولة وتفنيد أفعال القيصر نفسهِ بل ربما تطرّف الكثيرون الى القدح باخلاقهِ والاستهزاء بهِ

استبدادك هذا يصلح اجراؤه على قوم متوحشين مثل القاطنين في مجاهل افريقيا الوسطى . أما القيام بهِ بين الروس منضما مع مذهبك الارثوذكسي الذي تحمل الناس عليهِ طوعاً أو كرهاً فلا يمكن الا بممارسة الاجحاف والظلم والاعتساف بالقتل والابعاد والاضطهاد الديني ومصادرة الكتب وامساك حرية المطابع والسيطرة على كلّ مكتوب ومقول والتمويه في معاهد التدريس وكل عمل من أعمال القساوة والشراسة

هذه هي فعالك منذ تربعت في دست السلطان وطويت راحتك على قائم الصولجان . افتتحت الاستبداد بجوابك لرسل

الامة الذين جاؤوا يلتمسون منك وضع دستور للعمل يوم دعوت هذه الامنية المحبوبة « أضغاث أحلام » وكسرت قلوب شعبك الذين كانوا يوطنون أنفسهم على الخير في ايامك . ثم استمررت متقماً هاضماً للحق وداقاً لعنق العدل الى يومك هذا . من ذلك أوضاعك في فنلاندا . ونهابك في الصين . واضافتك على اعتادك الحربية وأنت تجهر بالسلم وتقترح على أقرانك تأليف مجلس التحكيم في لاهاي . واضعافك للمجالس الانتخابية لتحصر القوة في عمالك الظالمين . واجازتك للاضطهاد الديني الذي يقام على أصحاب المذاهب غير الارثوذكسيين ممن لا يدينون بدينك ولا يقولون برئاستك الروحية . ورضاك عن احتكار السوائل الروحية المسكرة والاتجار بها للدولة وهي سموم تهدم بنيان الشعب وتوقع التداعي في عمرانهم . وفوق الكلّ اصرارُك على استعمال الضرب في العقوبات والاستنطاقات متغاضياً عن الاسترحامات المتكرّرة التي رفعها الشعب اليك لتبطل هذه الطريقة الهمجية من القصاص التي تحط منزلة الانسان الى درجة الحيوان الاعجم وتلحق بالشعب الروسي هواناً عائباً . وكلُّ هذه الهفوات ما كنت لترتكبها لولا مشورات أعوانك الذين لا يكتفون بحملك على ايقاف العقل والمجتمع البشري عن النمو بل يزينون لك الرأي في ارجاع الانسان

الى الحالات الوحشية التي تخلص منها بفضل العقل والتجربة

بالجور والظلم يستطيع الملك ان يضيق الخناق على الشعب ولكنهُ لا يستطيع أن يحكم عليهم لان الحكم على الأمة في هـذا الزمان لا يتيسر للحاكم الا اذا جعل نفسهُ زعيماً يتقدم بها من الشر الى الخير و يسير أمامها من الظلمة الى النور في السبيل الذي يراها تودُّ سلوكه . وهذا لا يستقيم له الا اذا جعل لها وسيلة لتُسمعهُ صوتها وتصرّح بحاجاتها ورغائبها ثم بوضع تلك الحاجات والرغائب موضع البحث والنظر واجراء ما ينطبق منها على حاجات الفئـة الكبرى منهم دون ما يخصّ مصلحة الافراد أو الفرق من الناس

لو خُيّرت أمتك اليوم لاختارت قبل كلّ شيء نزع الامتيازات التي تقضي بالتفريق بين الكبير والصغير من الرعيـة وترعى حق فرقة من الناس دون غيرها ثم حرية التنقل من مكان الى مكان وحرية العلم وحرية الدين وجميعهم يطلبون الحرية المتساوية في استعمال الارض واستثمارها والغاء مبدأ الاقطاعات الذي يئن منه الجميع و يعتبرونه سبب الشكوى الاعظم التي يترتب على الدولة الاهتمام بنزعهِ

لا بدّ في كل عصر من حاجة تعتبر حاجة الامة الكبرى تقتضيها حياة الامة لاستمرار النمو والبنيان وهـذه الحاجة كانت

منذ نصف قرن نزع الاستعباد ومنع الاسترقاق وتحرير الرقاب اما اليوم فهي حلّ مشكل العملة أي تخليصهم من الرؤساء الذين يضغطون عليهم ويظلمونهم . يحسب البعض في أوروبا ان مسألة العملة تحلّ بنقل المعامل التي يشتغلون بها من ملك أصحابها الى ملك العملة فيها وهذا الاسلوب سواء كان موافقاً للممالك الاوروبية أو لم يكن فهو على الاطلاق لا يناسب بلادنا اليوم انما الطريقة الوحيدة عندنا هي الغاء نظام الاقطاعات وجعل استغلال الارض من الحقوق التي يشترك فيها جميع السكان بدون استثناء وهذه الامنية هي ما تتوق اليه نفوس الروسيين منذ عهد بعيد ويودون بلوغه جبراً لقلب الفلاح وتنشيطاً ليده على العمل . انا اعلم ان مشيريك يهزأون باقوالي هذه ويحسبون اقتراحاتي ناشئة عن قلة الاختبار بالحكم وعدم الاضطلاع بشؤون الادارة على انني اعلم جيداً حقيقة ما اقول واشعر ان الاصلاح في هذه البلاد لا يمكن الا بمساواة الناس في الحقوق بالارض ورفع ايدي الامراء ورؤساء الاقطاعات عن استخدام الفلاح والاستيلاء عليهِ وعلى من في بيتهِ . والعاقل هو من تدارك الخطب قبل حلولهِ وخرج من سيل التيار قبل وصولهِ . سل الذين يقولون لك ان تحرير الفلاح بالارض غير ممكن اليوم كيف امكنهم ان يحاولوا ايقاف مجرى

الترقي واقامة الحواجز في سبيل العقول ليحبسوا اكثر من مئة مليون من الخلق في صدفة الجهل بعد ان خرجوا منها فياللعجب كيف يرون المستحيل ممكناً ويباشرون العمل بهِ ويرون الواجب مستحيلاً وينصحون بتركهِ وبالتجانف عنهُ ألاترى العصابات الفوضوية والجمعيات الثورية تنمو في بلادك كل يوم وان الباعث الاكبر على نموها هو نظام الاقطاعات الذي جئت اريدك على الغائهِ وان كنت تحسبني مخطئاً في رأيي هذا فما عليك الاّ ان تطلق السنة الامة وتفتح آذانك لسماع شكواها وعندها تسمع صوتاً واحداً يرنّ من كل بقعة من بقاع بلادك مستجيراً من جور الامراء وطالباً حق الانتفاع بعمل يديهِ

ايها الاخ العزيز ان حياتك في هذه الدنيا قصيرة فلا تضعها بطلب المحال من معارضة سنة الله في ترقي البشر وانتقالهم من الشر الى الخير ومن الظلام الى النور بل املأ حياتك بالاعمال المجيدة التي يرضى بها الله عنك وافتح صدرك لقبول شكاوي الامة التي صرت قيماً على مصالحها ثم تداركها بالاصلاح واجبر عثراتها واهدها الى سبيل الرشد والفلاح

انت اليوم صاحب الامر والنهي في هذه الامة الواسعة الاطراف والكثيرة العدد وتستطيع ان تفعل خيراً كبيراً او شراً كبيراً بحسب

اهوائك . والتبعة عليك في واجباتك عظيمة جداً على ان التبعة امام الله عند ما يطالبك بنفسك اعظم منها فهو اقامك في الدنيا ومن عليك بالقوة لتخدمهُ وتعمل بمشيئتهِ وانت تعلم جيداً انهُ سبحانهُ يطالبك بان تفعَل الخير لعبيده وتجتنب الاضرار بهم

ردّد هذه الامورفي فكرك وانت خال امام ربك الذي يمثلهُ لك صوت الضمير ولا تخفك العقبات التي تتمثلها في بالك اذا عزمت على ركوب خطة جديدة من الحياة فان تلك العقبات تضمحل من نفسها ان كنت تقدم على العمل وانت تطلب فيهِ مجد الله وتلبية صوت الضمير

عفواً ايها العزيز اذا كنت احزنتك على غير قصد مني فقد حثني الى كتابة ما كتبت غيرة غرتها لخيرك وخير الامة الروسية والمستقبل يكشف خطاءي من صوابي في مزاعمي هذه. اما انا فاني راحل الى ملاقاة ربي وضميري ساكن على طمأنينة لاني قضيت واجباً علي لك ولامتي واني في الختام امحضك اخلاصي واصفيك ودّي

اخوك

١٦ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ ليون تولستوي

DATE DUE

MAY 31 2005

AUG 15 2005

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0046023160

PJ
7842
.H815
W3

MAY 21 1975

PJ. 7842 .H815 W3